ر. د.م.د: ISSN 2437-0819-رقم الإيداع القانوني:2014-6068

رمزية المكان في رواية سيدة المقام
في ضوء المنهج السيميائي

طالبة الدكتوراه : حمادي نبيلة
إشراف د:خليفة قرطي
جامعة البليدة2

تاريخ الإرسال: 2017/10/28 تاريخ القبول:2018/06/11

الملخص:

إنّ أي رواية لا يمكن أن تقوم إلا ضمن مقومات أساسية تشكل بنيتها السّردية، فلا يمكن تصوّر رواية دون شخصيات أو زمان أو مكان، و لطالما شكل المكان أهميّة كبيرة، حيث هناك روايات تعمد إلي أشخصة المكان و منحه الدور الرئيسي.

ويعد في رواية سيدة المقام البنية الأساسية للرواية، و هي تحفل به بنوعيه أي أماكن مغلقة و أماكن مفتوحة، و يتحدد وفق تحركات البطلين.

و تشكل المدينة في راويات واسني الحاضر الغائب الذي يحضر بقوّة و تغيب سماته بفعل أفراده، و كما يعمد الكاتب إلي إماتة المكان قبل موت شخصياته، و هذا دلالة على حالة الرفض و الاحتجاج على الوضع القائم..

Apstract

Any, novel can not be present only within the existence of important foundations which composes its narrative structure.

A novel without character , time and place could not be imagined thus the form of the place hes a signifcant importance, as there are novels oims to characterizing the place and giving it the main role, and it is considered in the novel of "Saidat el Maqam " the moin novel's structure as it is included withe the type of any open or closed places, and it is selected according to the mouvement of the heros.

The city in the novel of "wassini" the present absent which strongly attends with, the absence of its character.

Within its individuals, as the writer works on making the place die befor the death of his characters and that means proov of rejection and objection about the current stuation .

لا يمكن لاي عمل أدبي مهما كان جنسه أن يقوم دون مقومات أساسية، كالزمان و المكان و الشخصيات، و الرّواية باعتبارها جنس أدبي تعتبر المكان مقوما أساسيا يمنحها حركية خاصّة.

حيث يعد المكان بتجلياته وأنماطه و تنوعاته المختلفة مكونا أساسيا من مكونات النصّ السّردي، لذا فقد اتجهت الدراسات الحديثة إلى تشريع بنية المكان بوصفه تاريخا وذاكرة ولسانا وفضاء ،و ترسيخ البحث المعرفي لمفهوم المكان و جمالياته في شتّى عقول الأدب الفني،إذ يعتبر عنصرامركزيا من عناصر التشكيل النصي الأدبي، وهو كذلك عنصر من عناصر البناء الفني لا يستغني عنه ،ومن هنا تتأس القيمة الجمالية للمكان من خلال حضوره المرئي و المتصور و الداخل في تكوين صورة الحياة.[1]

فالمكان الروائي السّردي يعبر داخل فضاء السّرد الروائي عن معطى سيميوطيقي على النحو الذي يتمثل طبيعة الشّخصية وعنوانها وتطلعها في الخطاب و النصّ و التشكيل و الرواية و الرؤية ، فالمكان لا يتوقف عند المستوى الحسّي ، و إنما يتغلغل عميقا في الكائن الإنساني حافرا مسارات و أخاديد في مستويات الذات المختلفة ليصبح جزءً صميما منها ، لأنّ المكان هو الفسحة و الحيز الذي يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا و العالم من خلاله نتكلم ، و عبره نرى العالم ، بحيث يكتسب المكان الروائي معناه استنادا إلى طبيعة هذا التلاقي و التفاعل .

و من هنا نستنتج القيمة التشخيصية المؤنسة للمكان في السّياق الروائي ، إذ أن تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل أحداثها بالنسبة للقارئ محتمل الوقوع ، بمعنى يوهم بواقعيتها ، إنّه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور و الخشبة في المسرح و طبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين .[2]

لقد ارتبطت الشخصية بالمكان ارتباطا وثيقا بحيث لا يمكن تصوّر وجود حيّ بلا شخصيات ، أو شخصيات حيّة بلا مكان ، و لذا فإن الشخصيات هي التي تمنح المكان وجودا أثيرا و منتجا قابلا للتأثر ، وانتزاع الإعجاب وقوة الإبلاغ ، لاسيما حين تحضر الشخصية بكثافة عالية ، و حضور حيوي وفعال في المكان .

حيث يتحول المكان في هذا السياق إلى شخصية العمل الروائي الأول ، التي تشكل شخصيات العمل الأخربعبرها و من خلالها ، و يتجلى حضوره في هذا المستوى من الأهميّة

و قوّة الحضور و الهيمنة – ليكون قدرة فاعلة تتجاوز كونها الجامد المنفعل و تنتقل إلى مسرح الفعل و تؤثر و تتأثر، و تشكل و تضيف و تعدل و تلغي و تخلق ، ويكون ذلك على المستوى الشعوري النفسي ، أو على المستوى الوقائعيالحدثي – إلى درجة ينتهي فيها العمل الروائي على يد المكان ، ويحسم رؤيته و مقولته به.[3]

ففي هذا النوع من الروايات التي تعتمد على المكان بشكل واضح ، يعد هذا الأخير الشخصية المحورية ، وهذا ليوهم المتلقي أن كل ما يحدث من أحداث هو حقيقة ، و أنه يقف أمام نص حدث بالفعل في ذلك المكان ، فأي رواية لا تقوم إلا ضمن إطار مكاني محدد مغلقا كان أم مفتوحاً ، كالبيت ، المدينة ، الشارع ، المقهى ، المسرح ،الجامعة ، المسجد ....إلخ .

و يعد المكان في رواية سيدة المقام للأعرج واسيني- صدرت عام 1995 ، عن دار الجمل بألمانيا - عنصرا مهما في تحديد مسار و مصائر الشخصيات،حيث تبدأ الرواية بمكاشفات المكان و تنتهي به أيضا، و تتمحور فاتحة الرواية حوله:"**شيء ما تكسر في هذه المدينة بعدأن سقط من علوّ شاهق، لست أدري من كان يعبر الأخر: أنا أم الشارع** ".[4]

من ثم يستيفض الكاتب في وصف المكان أي مشفى مصطفى باشا إلى أن تنتهي أطوارها فوق جسر تليملي:" **جسدي يتدحرج في الهواء،أقبض على المقابض الحديدية بقوة أكز على أسناني أرفض النظر في الهوة السّحيقة في الأسفل**".[5]

و تتنوع الأمكنة في رواية سيدة المقام من أماكن مغلقة تدور أحداثها في المنزل ، السّيارة ، المشفى ....و كذلك أماكن مفتوحة كالمسرح، الشاطئ ، الشوارع ، جسر تليملي .....إلخ .و من هذه الأماكن نجد :

أ – الأماكن المغلقة: قبل الحديث عن المكان تجدر الإشارة إلى أنّ الرواية كلها مبنية على استرجاع طويل ، حيث ترى أوريدة عبود أنّه عندما يكون الإنسان محاصرا من الجهات كلها ، يشعر أنّه موضوع في دائرة مغلقة ، و إن كان في مكان لا تحدّه حدود ضيقة ، فيلجأ إلى عالمه المفضل عالم الذكريات ، أو على الأصحّ أيّام زمان قبل أن يعرف معنى الحصار و الحرب.[6]

و دائما ما نعتقد أنّ المكان المغلق يرمز إلى ضيق الأفق ، و محدودية النظرة ، والمكان المفتوح عكسه تماما يدلّ على التحرّر و الانطلاق لتفريغ المكبوتات غير أنّه قد يكون المكان

المغلق أكثر تفتحا من المكان المفتوح ، فإحساس الإنسان بالاطمئنان في المكان الذي يكون فيه متواجدا ، هو الذي يحدد شعوره بالسلب أو الإيجاب ، الانغلاق أو الانفتاح .

ومن بين الأماكن المغلقة في الرواية نجد :

1 – **منزل الرّجل الصّغير:** لم يعد هذا المنزل مجرد فضاء هندسي وحسب ، بل أضحى عنصرا فاعلا يدخل في علاقة توافق مع رغبة الرجل الصّغير و مريم في حرّية أكبر ، و من هنا يتخذ المنزل مفهومه الدالّ على الراحة و السّكينة ليتعالق ضديا مع المنظر الخلفي للمدينة ، الباعث على الانقباض و المتسم بالعنف .

فهذا المنزل يمثل الحرية للبطلين ، و فيه يعزيلان نفسيهما عن العالم الخارجي ، المشحون بقيم المنع ، فهما من خلاله لا يضطران إلى إلغاء ذاتهما ، أو الدخول في حالة صدام مع حراس النوايا ، فهما به قد آثرا الرفض و الاحتجاج ، و هذا المدلول الذي يقيمه المنزل ، هو الذي يقدم من خلاله الكاتب دلالات الحرية و الانعتاق ، و حبّ الحياة التي تموت في الخارج ، فهو الذي يولد فيهما الرغبة في كسر حاجز حراس النوايا .

و كما أن الكاتب يقدم لنا وصفا دقيقا لمنزل البطل ، حيث يقول : " **حجرة النوم متداخلة مع مطبخ صغير، لا يوجد إلا هذا الصّالون ، شكلته بحسب ذوقي لا أملك يا مريم سوى هذا الجوّالذي خلقته بيدي ، الأجورالأحمر الممتلئ الذي يحيط بأسفل الحائط الداخلي ، أنا الذي بنيته لأعطي لهذا البيت شيئا مني** ".[7]

و كما يصرح الكاتب عن الشعور الذي يبعثه المنزل في نفسية الأستاذ : " **في مدينة مكفنة ، تموت باكرا ، يجد المرء نفسه في حاجة الى مكان فيه قليل من الفرح و السّعادة أجد بعضا من هذا داخل هذا المنفى الذي أسميه البيت ، الموسيقي ، الكتب ، اللوحات ، و بعض التأملات في أعماق الأشياء التي لا تموت** ".[8]

فالمنزل هنا برغم من انغلاقة يعد منفتحا بكثير عن العالم الخارجي الذي يمثل في الأصل المكان المفتوح ، لأنه يشكل حصارا مطوقا يخنق الأنفاس .

و يمكن توضيح القيم التي يوحي بها المنزل كالتالي :

المنزل :الحرّية / الحياة/ الفرح / الحبّ / الاستقرار.

ب – **منزل مريم :** يتخذ منزل البطلة دلالات معاكسة لمنزل الرّجل الصّغير، فهو يدلّ على معاني الحصار و القلق الدّائم ، و يشكل وصلة مع حالة المجتمع الخارجي ، أي قلق

المدينة المتزايد، و هذا الشّعور -عدم الارتياح- يخلقه وجود العمّ في المنزل ، و الذي يعاني من بعض اضطرابات في تبني بعض الأراء و المواقف ، فنجده أحيانا ينادي بأفكار حراس النوايا ، وحينا أخر يعزل نفسه عن العالم الخارجي ، فهو قد حرم وجود التلفزيون و الموائد و الشوك و السّكاكين ، فبذلك لا يمثل المنزل لدى مريم شعور الاطمئنان الذي يجب أن تفرضه فكرة المنزل : " **مكانش المايدة، مكانش المغارف ، الفراشيط ، التلفزيون ....الصّحابة كانوا يأكلون على الحصائر و يمشون حفاة عراة** ".[9]

فتجريد المنزل من كل مظاهر الحياة و الزينة، يولد في نفسية البطلة الكآبة : " **نزع كل شيء من حجرته ، اللوحات التي على الحائط ، السّداريات ، اشترى حصيرا من أحد الباعة الجوالين ، حيطان الصّالون صارت مثل الهيكل الميت** ".[10]

فمنزل البطلة أضحى مجرد حيطان لاحياة فيها ، تملؤه بيوت العناكب في كل زواياه ، مما يعكس حالة البؤس التي كانت تعيشها البطلة جراء أهواء عمّها ، وتنذر بموت المكان.

فهذا الوضع المزري ، دفع بمريم إلى أحضان حمودة وهو زوجها الذي طلقا فيما بعد : " **كنت أريد أن أهرب من هذا البؤس الذي يلاحقني** ".[11]

و برغم من كل قيم المنع التي أضحى مشحونا بها المنزل ،إلا أن مريم حاولت أن تمنحه بعضا من الحياة بشرائها لتلفزيون صغير : " **التلفزيون باعه صندوق الفتنة كما كان يسميه ، إشتريت جهازا صغيروضعته في حجرتي ، تأتي أمّي أحيانا تجلس معي ، الواحد صار يشتاق حتى للتنفس** " .[12]

و لذلك يعد المنزل هنا مشحونا بقيم المنع و الكبت و يمثل وصلة مع الاستسلام و الخضوع لهيمنة حراس النوايا ، و رغبة مريم في تغيير الوضع جعلها تدخل في علاقة فصل مع هذا المنزل ، فلجأت بذلك إلى أناطوليا (معلمة الرقص)، و الرجل الصّغير .

فالمنزل لديها يقدم لنا القيم التّالية :

المنزل : القمع / الكبت / الخوف / السّيطرة / اللاحرّية .

ج – المستشفى : لقد جعل واسيني من المستشفى مرادفا للموت ، وأحد بؤرة المحتوم ، و هو يقدمه لنا منذ البداية ، حيث يصفه لنا وصفا يجسد كل تفاصيله:"**بدأت أتأمل حيطان مستشفى مصطفى باشا عال ،عال ، يبحث عن سماء ضيعت ألوانها الأصلية**

، الأشجار انحنت و يبست في هذه السّاحة الواسعة بلا أي معنى ، مثلها مثل المدينة لم تعد مدينة" .[13]

و يوغل الكاتب في وصفه المشفى و رصد جزئياته :" **المشفى واسع و أنا صغير ، يمتد في داخلي كالظلّ الأبيض ، تملأني الحيطان البيضاء ، و الألبسة البيضاء و الوجوه المرتعشة التي تعلق أحلامها بين شفتي طبيب أو طبيبة ، رائحة الأدوية ، السّيروم و المراهم و الأنفاس المتقطعة ، و الخيوط البلاستيكية و الأسرة ، و الأرقام التي تستفز والأبواب التي تفتح و تغلق بسرعة مذهلة.** " [14]

فهذا الوصف الدقيق يعكس حالة الترقب و الخوف و الموت القابع فوق الرؤوس ، فهو يقدم لنا جزيئات المستشفى و مظاهره الحيّة و الجامدة على السّواء ، و كما يوظفها توظيفا فنيا موحي بعالم الرواية ، و كاشفا عن أعماق الشخصية المحورية " الرجل الصّغير" وأحاسيسه فوصف المشفى يتناسب مع الجوّ النفسي العامّ لشخصية البطل ، فجدران المشفى التي بدأت تفقد لونها تعمق الحالة النفسية التي يشعر بها ، و تحيل إلى موت المكان ، بعد أن طمست ملامحه ، بفعل الخراب و التصحر الذي جلبه حراس النوايا ، فالقيم التي يحيلنا إليها جوّ المستشفى كلها تولد دلالات عن القلق و التوتر ، فهو بذلك في صلة مع حالة الذعر الذي يفرضه الجوّ الخارجي المتوتر و من هذه القيم :

المشفى : الموت / الخوف / اليأس / السّكون / الذهول.

د – السّيارة : شهدت السّيارة حضورا فاعلا في تحريك أحداث الرواية ، حيث كانت تشكل ملاذا لمريم و الرجل الصّغير ، و التجول بها في أنحاء العاصمة .

و قد قدمها الكاتب كوسيلة للهروب من الوضع المزري الذي تعيشه البطلة داخل منزلها ، و كذلك لكسر نمط الحياة الرتيب في المدينة :" **تأكدت أكثر من سيارتها 205 الفضية اللون ، اشترتها من ابنة خالتهاfait une bonne affaireتuas، كانت فرصة جميلة تقول لولاها لا نتحرت** ".[15]

فهي قد اشتريتها بعد خيبة الأمل التي جرها إليها الزواج الفاشل :" **هذه السّيارة هيالتي أخرجتني من فراغات الموت التي قذفني إليها هذا الزواج المبكر، هي التي ملأت حزني**".[16]

و تشكل هذه السّيارة نقلة نوعية في مجرى الرواية حيث منحت المكان حركة أكبر، ووسعت من مجال تنقلات البطلين في مدينتهما المحكمة .

و تمثل السّيارة قيما إيجابية منها:

السّيارة: الحرّية / التنقل / الأمل / الحياة .

ويمكن توضيح الأمكنة المغلقة وفوق الهيكل التالي :

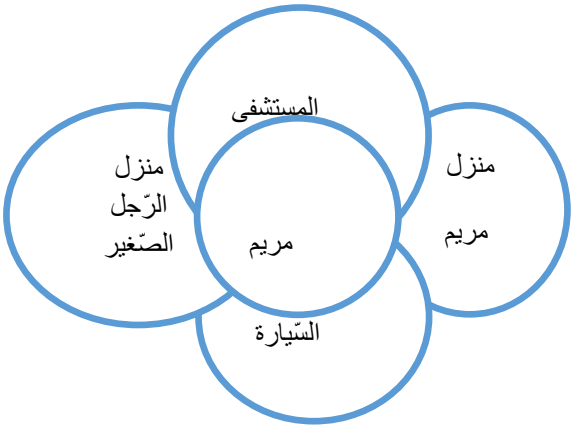

2 – **الأماكن المفتوحة** : ما نلاحظه على الرواية سيدة المقام أنها مركزة حول المدينة و هي تكتسب علاقة حميمة مع البطلين اللذان يعشقانها بكل تفاصيلها ،و هذا الإحساس يجعل المدينةتمتد امتدادا عميقا في وجدانهما .

فإن المدينة تمتد في داخل بطل الرواية زقاقا زقاقا وشارعا شارعا، و تكتسب حضورا فاعلا في النص .[17]

و المدينة هي المكان المفتوح و تتمثل أهميّة المكان المفتوح في جعلها نشعر بانفتاح الرواية على العالم الواسع ، فالقاص مثلا عندما يصور الأبواب و النوافذ المفتوحة ، و الفضاءات الرحبة ، كالشوطئ و الشوارع إنما يريد البوح عن وعيه بالانفتاح ، فالانفتاح على العالم الرحيب يوحي بالقوة المطلقة للسكون اللانهائي ففيه نستشف اللانهائية ، فالمكان المفتوح هو حيز مكاني خارجي لا تحده الحدود الضيقة، يشكل فضاء واسعاً ، وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق.[18]

وتشكل المدينة في الرواية الفضاء المفتوح و الامتداد الواسع ، غير أن انتقال المدينة من سلطة بني كلبون إلى سلطة حراس النوايا أكسبها هالة سوداء تشاؤمية ، حيث تنتقل

المدينة من نظام مستبد إلى نظام أكثر استبدادية من السّابق، فيجبر البطلان على الاختيار بين إلغاء الذات أو التّحدي .

حيث هذا الانتقال من نظام إلى نظام مغاير يكون الفاعل المتنقل فيه أمام خيارين ، إماإلغاء الذات و تبني قيم في أفعاله لا يعرف نفسه فيها فينسجم مع مكرها ، و يدخل في حالة تواصل مع الآخرين على حساب القناعات الشّخصية، و إما الصّمود و الدخول في حالة مواجهة مع الأخر دفاعا عن القناعات. [19]

حيث تقول مريم :"**نكاية فيهم سأرقص حتى الموت.**"[20]

وفي قولها أيضا:"**سأرقصها و لو انقطع رأسي ،سأرقصها هنا ،في هذه الأرض المحروقة بتصحرها المزمن.**"[21]

و في ضوء هذا الأشكال الخلاق مابين حرية الرفض و فرض المساندة ،حيث يحتل الفاعل منزلة وسطى بين أمرين، فهو يحتج احتجاجا محملا برسالة رفض للوضع القائم، لأنه لم يستسغ حضور خروقات جوهرية بين فضاء الأمس وفضاء اليوم.[22]

و يمكن أن نقارن مابين فضاء المدينة أثناء سلطة بني كلبون، و المدينة في سلطة حراس النوايا ، فالمدينة على عهد بني كلبون قامت على خروقات جوهرية على صعيد المدلول، و يظهر في هذا الفضاء الفعل الذي ينفذه حراس النوايا الذين يريدون تنفيذ برنامج أسلاموية المدينة ، و هذا ليس لخدمة مصالح الآخرين ، بل خدمة لمصالحهم الشخصية.

فأضحت المدينة كئيبة، سُرقت من أفرادها، و فقدت بريقها:"**مدينتنا سُرقت مثلما تسرق النجوم،أصبحت قديمة،و عتيقة كأنها ميت يخرج من تحت اللأنقاض .**"[23]

فهذه المدينة أصابها ورم ينخر جسدها فأصبحت تموت يوميا ببطئ لكنها تتجه بثبات نحو نهاية مأسوية:" **تموت مثل ريف قديم و تتحول إلى قرية صغيرة ، تتهاوى مثل الورق اليابس ، كل شيئ فيها بدأ يفقد معناه الشوارع ، السيارات، الناس.**"[24]

فهذه الصّورة السّوداوية التي أضحت عليها المدينة اليوم ، لم تكن إلا انعكاسات لمحاولات حراس النوايا لتصحير المدينة و العودة بها لقرون خلت فأغلقوا قاعات الرقص و السّينما و حاربوا الثقافة ، و اعتبروها زندقة.

هذه المدينة التي كانت توحي بالحياة ، لم تعد سوى مدينة منكسرة:" **قبل زمن قصير كانت مليئة بالحياة أسطحها القرميدية الرائعة التي بدأت تخضر بفعل الزمن تعطي الإحساس بالمدن الأوروبية.** "[25]

و الملاحظ على روايات واسيني حضور المدينة بشكل مكثف في أعماله ، و التي تكون دوما مرادفة للموت حيث يميت واسيني المكان قبل أن يميت الشخصيات:"**هي المدينة الآن تتسرب بين أصابعنا كحبات رمل تستبيحها أقدام القتلة .** "[26]

و من الأماكن المفتوحة التي قدمها الروائي في نصه و التي تنتمي جلها لحيز المدينة الواسع نجد :

أ -**المسرح** : يعد هذا المكان المفتوح مصدرا للفرح ، وهو وعاء يمكن البوح فيه ، و الإحساس بالانفتاح ، و كسر حواجز السّكون و فيه تتنفس الشخصيات كونا بعيدا عن القلق ، لتتألق البطلة بعرض باليه البربرية ، بعد الانكسارة التى عرفتها في عرض " زواج الفيغارو "، و يعد المسرح البياض الدلالي الذي يعادل أحلام مريم في معانقة فضاء أرحب من الحرّية ، و كما أنّه يشمل انتصاراتها.

فهو المكان الذي يرفع من معنوياتها المنكسرة جراء الرصاصة القابعة في أعماق الرأس ، و التي تعمقها قيود حراس النوايا ، و التي تلتف حول العنق كحية رطبة تنزلق في هدوء لتحكم القبضة ، وتخنق آخر نفس يريد أن يسبح في عالم الفرح ، فمريم بمجرد سماعها لهتاف الجماهير و تصفيقاتهم المتعالية ، تشعر بعظمة إمبراطوريتها المترامية الأطراف : " **كان التصفيق قد تحول إلى عاصفة .** "[27]

فالمسرح في الرواية مجال مفتوح يحقق وصلة مع الأخر يكون الممثل و الجمهور طرفا العلاقة فيه، حيث يتلقى الممثل ردة الفعل مباشرة مما يولد في نفسه شعورا مميزا يعكس رضى الجمهور عليه أو سخطهم .

و المسرح هنا في سيدة المقام لا يقدم سوى الوظيفة الموكلة إليه ، و هي عرض المسرحيات و استقطاب الجمهور للتمتع بالأداء المميز للعروض التي تقدمها فرقة الرقص ، بل و أضحى ملاذا للعاشقين مريم و الأستاذ ، حيث يلتقيان فيه ، فدائما ما يحضر الرجل الصغير عروض مريم في الباليه .

وهذا الحيز المكاني الذي يمثل روح الثقافة في البلد يهاجم بشراسة و يغلق ، لأنه حسب وجهة نظر حراس النوايا يمثل مكانا للفسق و الفجور ، و مثله صالة الرقص التي تقع عند ساحة البلدية و التي أغلقتها هذه الأخيرة و أسكنت فيها النازحين من أعالي العاصمة ، بعد الزلزال الذي ضرب المدينة: " **الصّالات تقلّ بعضها أعطي لجمعيات خيرية ، بعضها الأخر مجمد ، المسرح الوطني، الموقار، ابن خلدون، حرشة .** "[28]

فالمسرح بذلك يمثل وصلة مع التحدي و الأمل و الرغبة في كسر الحاجز ،ومنالقيم التي يحملهاالمسرح نجد :

المسرح : الحرية/ الأمل/العطاء/التحدي / الرغبة / النجاح / الأحلام.

ب – الشاطئ :يعد الشاطئ من أكثر الأماكن انفتاحا ، و هو يمثل الامتداد الواسع مما يولد في نفس الإحساس بالانشراح و التخلص من رواسب الحياة اليومية ، و في الرواية نجد الشاطئ حاضرا بكثافة ، حيث يعد الملاذ الأول للعاشقين ، قبل أن يحجز عليه حراس النوايا ، و يقتلوا بذلك جمال المكان ليصبح البحر حزينا يلفظ أزباده بنقم على الوضع المزري الذي آلت إليه المدينة، و الذي كان يشكل معها لوحة طبيعية ساحرة تأسر الألباب ، و تكمن رمزية البحر في أنه يجسد القيمة القائمة عليها الرواية ، و هي تيمة الحبّ ، و الذي صار يعد محرما على عهد حراس النوايا ، وتحدى صريح لا يقبله أعداء الفرحة المنداة. فهذا الشاطئ لطالما كان شاهدا على الحبّ و المتحابين: " **يقف العشاق على واجهة البحر ، يتأملون السّفن التي تذهب و تجيئ بأعلامها الملونة.** "[29]

قبل أن يتحول الى رمز للكآبة و شعور بالانقباض و الحزن :" **كان البحر ينسحب مخلفا وراءه أصداء أناس يذبحون ، و يحشرجون الحشرجات الأخيرة، أصوات تشبه أصوات السّكاكين و هي تنغرس بقوّة في الرّقاب و الصّدور** . "[30]

و هكذا قتلت رمزية البحر بمدلولاته العديدة كحريّة الفضاء و حرّية الحلم ، بعد أن منعوا الناس عنه قد يصل بهم الأمر إلى حدّ حرمانهم الحلم به .

و البحر هنا يحمل عدّة قيم متناقضة تشكل البحر قبل عهد حراس النوايا ، و القيم التي فرضوها عند مجيئهم .

البحر: الحياة //الموت ،الأمان // الخوف ، الحركة // السّكون ، الحرّية // السّيطرة ، الحبّ // القلق ، الرّغبة // الكبت .

ج – **شوارع العاصمة** :تجسد هذه الشوارع حركية الرواية ، و قد وظفت في الرواية بكثرة أوردها واسيني بأسمائها لأجل الإيهام بواقعية المكان ، و إقناع الملتقى بأنّ ما يقرأه حقيقة واقعية، و بتشكيل الصّورة المادية لهذه الشّوارع يتمّ إدراكها حسّيا و هي تكشف عن معطيات البيئة الخارجية عبر مستوياتها الاجتماعية و الاقتصادية ، فهذه الشّوارع تعكس حالة الخوف الذي ينتاب سكانها: " **العيون القلقلة التي تعبر الممرات و الشّوارع في الليل مدورة و بليدة و خائفة ، تمشي أو تهرول بسرعة غير عادية ، من حين لأخر تلتفت وراءها بعد أن تطمئن نفسها ، ثم تواصل سيرها أو تسلقها للشوارع و المرتفعات.**"[31]

و قد عبر الكاتب عن حالة الشّوارع المزرية أيّام حراس النوايا بعد أن فقدت ألقها : " **أعبر الزقاق الضّيق الوسخ المؤدي إلى شارع ديدوش مراد ، ماذا حدث ؟ أتساءل في داخلي .**"[32]

و كما أنه من خلال الشّارع يصف لنا هيئة المارين، فيقدم وصفا للحالة الاجتماعية لآهل المدينة: " **أتمرس وسط شارع ضيع ملامحه الأولى ، و اندفن داخل الألبسة المستوردة من الخليج و الشّرق الحزين ، و أفغانستان ،إيران مصر و العراق ، كأنّه لم يعرف يوما ألبسته الخاصّة** . "[33]

و دائما ما يصف واسيني الشّوارع و تهالكها:" **الشّوارع بدأت تتثاقل بالأوساخ و الأوحال ، وجمالها يغيب تحت كثافة دخان المصانع الصّغيرة ، التي نبتت في الحارات كالفطر ، تصنع الحلوى و البلاستيك ، الألياف ، الكارطون.**" [34]

و كما أنّه يورد أسماء بعض الشّوارع مثل :" **أعرف أنني انتقلت من مستشفى مصطفى باشا مرورا بشارع حسيبة بن بوعلي ، ثم صعدت باتجاه ديدوش مراد ، و لا أعلم بعد الأزقة التي قطعتها ، كلها كانت تحمل أسماء الشّهداء الرائعين ، و بعضها لكتاب فرنسيين معروفين** . "[35]

فالشارع يحضر بقوّة في الرّواية ، و يضفي عليها حركية تعكس ما تحويه الرواية ،كما أنّها تساعد على تصعيد حالة العنف داخل الرواية ، ففي الشّارع يتربص حراس النوايا بضحاياهم .

د - جسر تيليملي : لقد أضحى هذا الجسر شعيرة من شعائر الاحتجاج و الرفض و الإدانة و العنف الذاتي ، الذي يصفع المجرمين الحقيقيين (حراس النوايا) ، فبعد موت مريم حاول البطل الوصول إلى هذا الجسر رغم المصاعب التي اعترضته خاصّة بعد مواجهته لحراس النوايا ، و اعتقالهم إياه بعد اكتشافهم لسكره ، و رميه في المزبلة بعد تعرضه للضرب و الإهانة و الشّتم ، و هو في حالة اليأس هذه تذكر جسر تليملي ، الذي كانت قد انتحرت من فوقه الشّاعرة صفية كتو: **" تذكرت صديقتي الشّاعرة صفية كتو التي قتلتها المدينة، فرمت بنفسها من أعلى قمّة جسر تليملي الذي يربط أسفل المدينة بمرتفعاتها."**[36]

فهذا الجسر يكشف زيف المدينة و يقف على تناقضاتها ، و هو يمثل مركز الحقيقة ، حيث يوجد هذا الجسر في وسط المدينة يقسمها إلى نصفين ، نصف علوي و نصف سفلي، مما يكسبه هذه المصداقية في تعرية المدينة من زيفها ، حيث يقف منتصبا في الوسط يجسد مركز الحقيقة المجردة لذا رغب الرجل الصّغير في الوصول إليه لأجل التّجرد من كل الأكاذيب التي تملأ حياته كذبة الوطن الذي يعذبه و يتعذب لأجله، و يجرد نفسه من كل الانتماءات فمزق الهوية الوطنية، و جواز السفر :" **أخرجتها تأملتها مليا بخضرتها الباهتة التي لا تورث إحساسا كبيراً بالوطنية ، ثم كتاباتها العريضة بطاقة التعريف الوطنية عدد ز/رقم 124170 ، قلبتها الصّورة القديمة ، و بصمة الأصبع اليسار العريضة ، مزقتها ثم أكلتها مثلما كنت في طفولتي ألوك الخبز اليابس حتّى وصلت إلى بصمة الأصبع اليسار تأملتها ثم أكلتها هي بدورها . "**[37]

و بعدها يمزق جواز سفره: **"لم تتأمله كثيرا بدأت تريش أوراقه مثل دجاجة خضراء."**[38]

ففي لحظة الحقيقة يريد البطل التحلل من كل الالتزامات فهو الأن لا يملك وطنا و لا يملك انتماءً ، إلا لحظة الصّفاء هذه التي يمزق فيها أوراقه و يرمي بها من أعلى الجسر ، ليسمع وقع ارتطامها في الهوة السّحيقة ، حتّى روايته التي هي أغلى ما يملك ينثر أوراقها من فوق الجسر بعد أن قرر إكمالها بجسده الذي انفجر من أعلى الجسر، بدل أن يكملها بقلمه، لأنّه ظلّ عاجزا عن إتمامها ، و رغم السّلبية التي يكتسبها الجسر ، بعد أن أضحى

جسرا للهروب لا للمواجهة ، فهو يحمل رمزية تدلّ على الرفض و الحقيقة المعراة و الاحتجاج .و يمكن تمثيل هذه الأماكن المفتوحة وفق المخطط التالي :

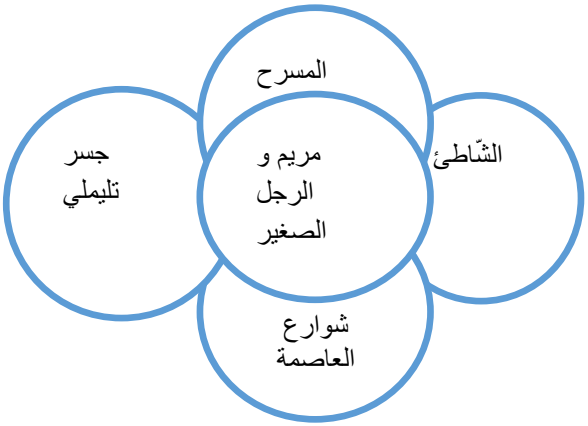

و يمكن القول ان طبيعة المكان في سيدة المقام تتحدد وفق رغبات البطل، حيث يرتبط الاحساس بالمكان بمزاجية الانسان[39] .وبذلك يصبح له دلالات قد تخالف أصله فيصبح المكان المغلق مثلا أكثر إنفتاحا من المكان المفتوح، مثل منزل الرجل الصغير. و تعد رواية سيدة المقام رواية شخصت المكان بكل تفاصيله، حتى أضحى تيمة مرافقة لقيم الحب و الكره لدى البطلين ، ولا نبالغ إن قلنا أن المكان في هذه الرواية يعتبر شخصية تنافس شخصيات واسيني الأعرج.

و قد تتبع كاتبنا المكان بكل جزئياته الدقيقة و كأنه فسيفساء فنية تتعدى كونه منطلق هندسي ، يرتبط بشكل معين خاضع لحسابات الطول و العرض، بل يحمل دلالات إنسانية تنبض بمشاعر الحزن و الفرح ، و وصفه الدقيق لأسوار مستشفى مصطفى باشا دليل تعلق المكان بأحاسيس البطل المفجوع في محبوبته مريم، حيث تفقد الجدران رونقها و الوانها مثلما فقدت البطلة روحها المتألقة ، التي لطالما ارتبطت بالأمل .

الهوامش :

1 – القيصري فيصل صالح ، جماليات النص الأدبي ، أدوات التشكيل و سيمياء التعبير، دار الحوار للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ، طبعة 2011 ، سوريا ، ص 207 .

2 – لحمداني حميد ، بنية النصّ السّردي ، من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، الطّبعة الثّانية ، طبعة 1993 ، بيروت ، ص65 .

3- القيصري فيصل صالح ، جماليات النص الأدبي ، أدوات التشكيل و سيمياء التعبير ، ص 183 .

4 –الأعرجواسيني ، سيدة المقام ، مرثيات اليوم الحزين ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ط2 الجزائر1997، ص 05

5 –المصدر نفسه، ص 263.

6 –أوريدة عبود ،رمزية المكان المفتوح في القصّة الجزائرية الثّورية ، مجلة شهرية تصدر عن وزارة الثقافة عدد 22 مارس 2010 ، ص 180 .

7 – الرّواية ،ص71.

8 - الرّواية ،ص 71.

9 - الرّواية ،ص95.

10 - الرّواية ،ص103.

11- الرّواية ،ص101.

12- الرّواية ،ص101.

13- الرّواية ،ص 05 .

14 - الرّواية ،ص06 .

15 - الرّواية ،ص68 .

16 - الرّواية ،ص68 .

17 - القيصري فيصل صالح ، جماليات النصّ الأدبي ، وسيمياء التّعبير،ص203 .

18–أوريدة عبود، رمزية المكان المفتوح في القصّة الجزائرية الثّورية ، ص 149 .

19 – بن مالك رشيد ، مقدمة في السّيميائيةالسّردية ، دار القصبة للنشر ، دط ، طبعة 2000، ص98.

20 – الرّواية، ص197.

21 - الرّواية، ص198.

22- بن مالك رشيد ، مقدمة في السّيميائية السّردية ،ص99.

23 - الرّواية ، ص33.

24- الرّواية ، ص33 .

25- الرّواية ، ص33 .

26- الرّواية ، ص34 .

27- الرّواية ، ص66 .

28- الرّواية ، ص164 .

29- الرّواية ، ص49 .

30- الرّواية ، ص282 .

31- الرّواية ، ص14 .

32- الرّواية ، ص20 .

33- الرّواية ، ص23 .

34- الرّواية ، ص41 .

35- الرّواية ، ص124 .

36- الرّواية ، ص259

37- الرّواية ،ص 273 .

38- الرّواية ، ص276 .

39-بالقاضى عبد المنعم زكريا، البنية السردية في الرواية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية و الاجتماعية، الطبعة الاولى، طبعة 2009 ،الكويت، ص146.

*** *** ***